د. ابراهيم زلافي - جامعة المسيلة - الجزائر

الرواية الجزائرية والمناهج النقدية
إشكالية الاستيعاب والتطبيق

الملخص

ترمي هذه المقالة إلى الوقوف على نشأة العمل الروائي في الجزائر، ومدى استيعاب النقاد لحقيقة المناهج النقدية الغربية ومحاولاتهم الرامية إلى تطويعها وتذليل صعوباتها من أجل تطبيقها على العمل الروائي، والبحث في الأسباب التي حالت دون تطور الأدب والنقد في الجزائر.

Résumé

Cet article porte sur la parution de l'œuvre romanesque en Algérie et le degré de l'acquisition des méthodes critiques utilisées en occident et ce; afin de les adapter et les mettre en application sur la critique des œuvres romanesques arabes. Elle vise également à s'interroger sur les causes qui ont entravé l'évolution de la littérature et de la critique littéraire en Algérie.

توطئة

مع بداية النهضة الأوربية في القرن السابع عشر الميلادي، تحول نظر علماء الغرب نحو الطبيعة من أجل السيطرة عليها، واعتمدوا في ذلك البحث والتنظير من خلال منهج الملاحظة والتجربة، المدعوم بروح علمية عالية.واستطاع الغرب بنهضته أن يجتاح العالم الإسلامي، وخاصة الدول العربية التي كانت تعيش حالة الجهل والانحطاط.

لقد اعتاد المؤرخون أن يتخذوا من حملة نابليون على مصر(1798) بداية للنهضة العربية، لما كان لهذه الحملة من لفت انتباه العرب إلى رقي أوربا وتقدمها الحضاري، ويشهد على ذلك ما جاء في "تخليص الإبريز" لرفاعة الطهطاوي. ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية

القرن العشرين ظهرت بوادر النهضة الثقافية في مصر وسوريا ولبنان، ثم انتقلت إلى البلدان العربية بعد ذلك. ونتيجة لهذا الاحتكاك والالتقاء تولد وعي وطني، يؤمن بضرورة التطور الاجتماعي والسياسي والاقتصادي للدول العربية التي كانت ترزح تحت وطأة الاستعمار.

نتج عن هذا الحراك تيارات فكرية وإصلاحية امتهنت الصحافة والترجمة سبيلا لنشر الوعي وتحريك العقول النائمة. فتولد عن هذا المخاض العسير مدارس أدبية داخل الوطن العربي وخارجه منها: المدرسة الإحيائية، والمدرسة الرومانسية، ومدرسة الديوان، ومدرسة المجهر، ثم أعقبها ظهور مدارس أخرى، وتكونت جمعيات كجمعية العلماء المسلمين في الجزائر، التي أسست المدارس التعليمية، وأصدرت الصحف باللغة العربية. رافق هذه الحركة الأدبية حركة نقدية، سعى بعض روادها إلى ربط حاضرهم بتراث الأجداد، بينما ربط آخرون حركتهم الأدبية بالحركة الأدبية في الغرب. وفي غياب قاعدة اقتصادية وسياسية وثقافية متينة، تسارع الكتاب العرب إلى استيراد المناهج النقدية الغربية جاهزة من شتى أنحاء أوربا وبلغات مختلفة، وتنافسوا في ترجمة مفاهيمها ونظرياتها في حركة متسارعة وجدل قائم، مما أوجد فوضى في ترجمة المصطلحات بين أدباء المشرق العربي ومغربه.

نشأة الرواية

يبدأ عصر الرواية في أوربا مع بداية العصر الحديث في القرن الثامن عشر الميلادي، أفول عصر الإقطاع وبروز عصر البورجوازية، عصر الحرية الفردية التي فتحت له الباب ليعبر عن مشاعره، فاهتم أدب هذه الفترة بواقع الفرد ومغامراته، وسجل الأمور المعبرة عن حياة العصر والفرد، واصطلح على هذا الأدب بالرواية الفنية.(01)

أما في الوطن العربي فيتفق جل الدارسين والنقاد والكتاب العرب على أن مولدها كان مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين للميلاد، وأن ميلادها كان نتيجة تأثير الآداب الغربية التي اطلع عليها العرب، إما عبر الترجمة أو من خلال البعثات إلى الدول الغربية، وإن كان بعضهم يرى أن هذا الفن له جذور في الأدب العربي القديم. ويجمع الكتاب العرب على أن رواية " زينب " لمحمد حسين هيكل التي عنونها بـ: " مناظر وأخلاق ريفية" بقلم فلاح مصري هي أول رواية واقعية في الأدب العربي الحديث.

الرواية الجزائرية والمناهج النقدية

في ظل أوضاع القهر الاستعماري وحصاره الفكري وسعيه لطمس هوية الشعب الجزائري، ومحو شخصيته وتدمير ثقافته، هذه السياسة التي انتهجها الاستعمار، أنتجت بيئة اجتماعية سيطر عليها التخلف والأمية، ولم يسلم منها إلا أتباع الاستعمار. هذا الصراع الغير متكافئ جعل الأديب الجزائري يلتزم بقضيته الوطنية، ويعبر عنها من خلال القصيدة أو

الأقصوصة التي تعبر عن اللمحة العابرة أكثر مما تعبر عن موقف مدروس في أبعاد إيديولوجية وفنية واضحة. (02) وتشير بعض الدراسات إلى أن الإرهاصات الأولى في العمل القصصي بدأت مع نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث صور محمد ابن إبراهيم المدعو الأمير مصطفى نتائج الحملة الفرنسية على الجزائر في عمله الأدبي الموسوم بـ: " حكاية العشاق في الحب والاشتياق" سنة 1849(03). ثم بعد مرور ما يقارب القرن من الزمن ظهر عمل أدبي آخر سنة 1947م تحت عنوان: " غادة أم القرى " لأحمد رضا حوحو، رصد فيه معاناة المرأة العربية، وتميز هذا الإنتاج بمستوى فني سليم. (04)

أنتج عبد المجيد الشافعي سنة 1951 عملا أدبيا تحت عنوان:" الطالب المنكوب " صور فيه حياة طالب جزائري يعيش في تونس، ثم قصة "الحريق" سنة 1957 بتونس لنور الدين بوجدرة، و"رمانة " للطاهر وطار. ويذهب بعض الباحثين الجزائريين إلى أن هذا الإنتاج الأدبي يمثل اللبنة الأولى في بناء صرح الرواية الجزائرية باللغة العربية. (05) بينما يرى بعضهم أن رواية " ريح الجنوب " لعبد الحميد بن هدوقة تمثل النواة الفعلية لميلاد الرواية الجزائرية. (06) وقد اكتسبت الرواية الجزائرية خصوصيتها من شتى التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي شهدتها الجزائر قبل وبعد الاستقلال. انطلقت الرواية الجزائرية من قيدها ولم يمر على تحرر الجزائر وقتا طويلا حتى عبرت الحدود، واتجهت نحو آفاق رحبة، حيث ترجمت إلى لغات شتى. لقد استوعبت الرواية الجزائرية القضايا الوطنية والتحولات المتوالية والمتسارعة، خصوصا في مرحلة السبعينيات باعتبارها مرحلة جديدة، تناغم فيها الإبداع الروائي مع شعارات الثورة، فتدفق الإنتاج الروائي بوتيرة لم يسبق لها نظير، حيث ظهرت عدة أعمال من بينها على سبيل الذكر لا الحصر:

-اللاز - الحوات والقصر- عرس بغل ... للطاهر وطار.

-ريح الجنوب - نهاية الأمس - بان الصبح ... لعبد الحميد بن هدوقة.

إن البحث في النثر الأدبي الجزائري، يحيل إلى الكشف عن علاقته بالنقد، ذلك لأنه من الصعب الفصل بينهما. والبحث في الظروف التي اكتنفت نشأة النقد في الجزائر، يحيلنا إلى البحث في مختلف المذاهب والإيديولوجيات التي ظهرت في الغرب وانتقلت إلى العالم العربي، وأثرت في الأدب العربي عامة والجزائري خاصة.

ومن بين المناهج السياقية الغربية نجد:

المنهج التاريخي

الذي يقوم على دراسة الظروف السياسية والاجتماعية للعصر الذي ينتمي إليه الأدب، ويتخذ منها وسيلة أو طريقا لفهم الأدب وتفسير خصائصه واستجلاء كوامنه

وغوامضه. لأن أتباع هذا المنهج يؤمنون بأن الأديب ابن بيئته وزمانه، والأدب نتاج ظروف اجتماعية يتأثر بها ويؤثر فيها(07). وكان ظهوره نتيجة التطور العلمي الذي عرفته أوربا مع القرن التاسع عشر، وتأثر أهل الأدب كغيره ببريق التطور العلمي، وأثمرت جهودهم بظهور المنهج التاريخي، ويعد Sainte-Beuve وHippolyte Taine من أبرز النقاد الذين حملوا لواء هذا المنهج، أما في النقد العربي فكان عباس محمود العقاد وطه حسين.

المنهج النفسي

الذي يسعى إلى تفسير الأدب على أساس نفسي،(08) عرف مع بداية القرن العشرين، إذ تأسس على يد سيغموند فرويد S. Freud ، وكشفت الدراسات في هذا المنهج على أثر اللاشعور في سلوك الإنسان ومختلف نشاطاته، وكذلك الأمراض النفسية التي تصيب الإنسان مثل انفصام الشخصية والنرجسية. ومن النقاد العرب الذين قدموا دراسات في هذا المجال العقاد وطه حسين وعز الدين إسماعيل وغيرهم.

ومن بين المناهج النسقية الغربية نجد:

المنهج البنيوي

هو منهج نقدي داخلي يقارب النصوص مقاربة آنية محايثة؛ تتمثل النص بنية لغوية متعالقة ووجودا كليا قائما بذاته، مستقلا عن غيره(09) . برزت البنيوية مع النصف الأول من القرن العشرين في عدد من البيئات والمدارس، استمدت روافدها من ألسنة دوسوسير، وأنثروبولوجية ليفي ستروس، ونفسانية بياجي وجاك لاكان، وحفريات ميشال فوكو التاريخية وأدبيات رولان بارت، ومدرسة الشكلانيين الروس(10). ومن النقاد العرب الذين تبنوا هذا المنهج كمال أبو ديب، إبراهيم زكريا، صلاح فضل، محمد بنيس.

المنهج السيميائي

(السيميولوجيا أو السيميوطيقا) من مناهج مابعد البنيوية، تهتم بدراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة(11) نشأت مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين على يد فردينان دوسوسير شارلز سندرس بيرس. وانتقل هذا المنهج إلى النقاد العرب ومنهم على سبيل الذكر: محمد مفتاح وأنور المرتجي وعبد الله الغذامي وسعيد بنكراد...

أما الدراسات النقدية في الجزائر فقد غلب عليها في مرحلتها الأولى الجانب التاريخي من خلال البحث عن نشأة الرواية الجزائرية ومراحل تطورها، وقد اكتست المناهج النقدية أهمية بالغة في الدراسات الأدبية، بكونها تمثل طرقا وأساليباً يعالج بها الناقد الأعمال الإبداعية ويميز جيدها من رديئها. ولما كان العالم العربي يعيش حالة عدم الاستقرار على مستوى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية بسبب التغيرات والتطورات الحتمية

الناتجة عن التطور السريع، وتتابع المناهج الأدبية النقدية وتوافدها تباعا بدء من الانطباعية، التاريخية، الاجتماعية، النفسية... التي تربط النص بسياقه الخارجي، ثم انحسرت هذه المناهج لتأخذ مكانها المناهج النصانية: البنيوية، التفكيكية، الأسلوبية، السيميائية وغيرها، والتي تنظر إلى النص على أنه شكل مستقل قائم بذاته، لا علاقة له بما هو خارج عنه. ونتيجة للصراع بين القديم والحديث ظل الناقد العربي في قلق وتوتر بين الحفاظ على الموروث وإغراءات الحداثة الغربية، يتلمس طريقا يسلكه ويميزه عن غيره.

في خضم هذا الصراع، اعتمد النقاد الجزائريون المناهج السياقية في مرحلتهم الأولى، ومن ضمنها المنهج التاريخي في تتبعهم لنشأة أشكال النثر الجزائري: (القصة، الرواية، المقالة، المسرح، التأليف، الخطابة، المذكرات، السيرة الذاتية، الرسائل، المقامات)، مع التأصيل لهذه الأجناس الأدبية ونزع صفة الحقائق المطلقة عنها واعتبارها وقائع متطورة ولها أصل انبثقت عنه، وهذا من أجل إحياء التراث العربي الجزائري وإعادة دراسته وفق طرق علمية حديثة.

وقد شكلت الظروف التي مرّت بها الجزائر قبل الثورة وبعدها بيئة خصبة لتطبيق هذا المنهج في دراسة التراث الأدبي الجزائري من أجل إحيائه وإثبات وجوده. ويذهب يوسف وغليسي إلى أن مطلع الستينيات كانت بداية ظهور النقد التاريخي في الجزائر(12). ومن أبرز الأدباء الذين اعتنقوا هذا المنهج نجد:

أبو القاسم سعد الله في كتابه "محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث" في كتابه" دراسات في الأدب الجزائري الحديث "

- واسيني الأعرج في كتابه " اتجاهات الرواية العربية في الجزائر"

- عبد المالك مرتاض في كتاباته الموسومة بـ:" فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)" و" نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر"، والذي تطرق فيه إلى نشأة الأدب والعوامل التي أثرت في تطوره ومسايرته للأدب في المشرق العربي، والكتاب الثالث الذي عنوانه " في نظرية الرواية ".

- عمر بن قينة في كتابه" في الأدب الجزائري الحديث (تاريخا وقضايا، أنواعا وأعلاما).

- عبد الله الركيبي في كتابه " القصة الجزائرية القصيرة" من 1928 إلى 1962 وكانت أول دراسة تعالج موضوع تأسيس الخطاب السردي، وتطوره في الأدب الجزائري الحديث، ثم كتابه "تطور النثر الجزائري" وهذا الأخير تعرض فيه إلى الأشكال الأدبية وتطورها.

- محمد الطمار " تاريخ الأدب الجزائري" تتبع فيه تطور الأدب الجزائري.

وفي الاتجاه الاجتماعي نجد محمد مصايف في " الرواية العربية الجزائرية بين الواقعية والالتزام".

أما ما ميز الربع الأخير من القرن العشرين هو بداية تشكل إبداع جديد يهتم بالنص ويتجاوز البحث في مؤثراته الخارجية، بغية فهم ما يعبر عنه النص. فهيمنت على الدراسات النقدية الحديثة مصطلحات جديدة كالتناص، والبنيوية، وغيرها. وبوتيرة متسارعة تحول النقد الجزائري في فترة وجيزة من المناهج السياقية إلى المناهج النصية، وكان فاتحة هذا التحول أعمال عبد المالك مرتاض التي انتهج فيها المنهج البنيوي، والتي تمثلت في:

-كتاب" النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟

-كتاب "الألغاز الشعبية الجزائرية"

- كتاب "الأمثال الشعبية في الجزائر"

أما المنهج السيميائي فكانت الاستفادة منه كبيرة لما يحتويه من ليونة في الاستعمال وشمولية في الرؤية، فكان في الطليعة النقاد الذين أسسوا لهذا المنهج و أثروا الساحة النقدية بمؤلفاتهم:

-عبد المالك مرتاض في كتبه: "تحليل الخطاب السردي"، "التحليل السيميائي للخطاب الشعري"، "ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد".

-رشيد بن مالك بكتابيه: " السيميائيات السردية"، "السيميائية أصولها وقواعدها"،

- عبد الحميد بورايو بكتابه " الكشف عن المعنى في النص السردي".

الأسباب التي حالت دون تطور الأدب والنقد

كان التضييق والحصار الذي فرضه الاستعمار قبل وأثناء الثورة سببا في تقليص إبداعات الأدباء والنقاد في الجزائر، وعلى الرغم من ذلك تحمل بعضهم مسؤولياتهم اتجاه الوطن والشعب، وساهموا بإبداعاتهم في نشر الوعي، ومحاربة الاستعمار بالكلمة، مستفيدين من البيئة الأدبية العربية، ومن الآداب الأوربية الوافدة.

يذهب رضا حوحو إلى أن الأسباب التي جعلت الأدباء لا يقبلون على الإنتاج الأدبي كونهم لم يجدوا الميدان الصالح للنطق،ولا صدى لصيحاتهم،ولا تربة خصبة لبذورهم،فالجَوُّ أخرس تنقصه التجارب...والمطابع مفقودة في الجزائر،والأدباء فقراء... (13)

هناك أسباب أخرى ساهمت في كبح عجلة تطور الدراسات النقدية تمثلت في غياب القدرة على فهم وإدراك كنه المناهج النقدية. فنجد بعض النقاد العرب يعترفون بعدم إدراكهم لكنه المناهج النقدية الغربية فهذا " فاضل ثامر " الذي يقولها علنا بأنه لم يكن يعي شيئا عن المنهج في فترة الستينيات:« لم أكن أمتلك إلا فهما أوليا لمعنى المنهج في النقد على الرغم من أني كنت أزعم لنفسي وللآخرين بأني كنت أمتلك فهما واضحا وعريضا لمعنى المنهج، وكنت آخذ على النقاد أو بعضهم مسألة غياب المنهج النقدي الواضح،لكني أشعر الآن وأنا

أضع نفسي على كرسي الاعتراف الذاتي، بأني شخصيا،وهذا بالتأكيد ينطبق على زملائي الآخرين،لم أكن أدرك إلا فهما محدودا لمعنى المنهج»(14)

لا تكفي المعرفة باللغتين لتتم ترجمة النصوص أو المناهج من لغة إلى أخرى، فالعمل يقتضي في كثير من الأحيان بالإضافة إلى الزاد الأدبي أن يكون المترجم مؤرخا أو عالما في صنف من العلوم الطبيعية، الرياضيات، الفيزياء...فلو تفحصنا أقوال رواد المنهج التاريخي في الغرب لتبين لنا أن هؤلاء لم يكونوا أدباء أو نقاد فقط، بل كانوا روادا في علوم أخرى،كان لديهم توجه علمي تجريبي في منهج دراستهم للأدب.فنجد "سانت بوف" (1804-1869) و" هيبوليت تين " (1828- 1893) و"برونتيار" (1849-1906) ممن سعوا إلى إيجاد قوانين ثابتة للأدب، ثبات قوانين العلوم الطبيعية، قوانين تطبق على كل الأدباء، كما تطبق قوانين الطبيعة على كل عناصر المادة وجزيئاتها .

هذا ش.أ. سانت بيف(1804-1869) / Charle Augustin Sainte-Beuve) الناقد الفرنسي الذي تأثر بالمناهج العلمية، وكان له الدور الهام في إرساء قواعد المنهج التاريخي، والذي تمحورت أبحاثه الأدبية حول شخصية الأديب، يدعو إلى تطبيق قوانين علم النبات على تاريخ الأدب، حيث يرى أن الأدباء " كفصائل النبات والحيوان، فصائل تتشكل حسب ما يقع عليها من مؤثرات خارجية، أو ما تحمل من صفات وخصائص. بحيث يتسنى للباحث الأدبي تصنيف الأدباء إلى مجموعات متجانسة تتميز بطابع عام مشترك(15).

ومن بعده هيبوليت تين(1828-1893) Hippolyte Adolphe Taine، الفيلسوف والمؤرخ والناقد الفرنسي الشهير كان من الأوائل الذين استخدموا المنهج التاريخي لدراسة الأدب وتعمقوا في دراسته.ويرجع ذلك إلى انبهاره بقوانين العلوم الطبيعية. إذ كان يرى أن الإنسان ينتج الأدب والأشعار والفلسفات بطريقة طبيعية تشبه تماماً دودة القز في إفرازها لخيوط الحري.وقال بتأثير ثلاثية (الجنس،البيئة،العصر) في إنتاج الأدب(16).

أما فردينان برونتيار (1849-1906) Ferdinand Brunetière، الناقد الفرنسي فقد طبق نظرية (التطور) لدى داروين (1809-1906) على الأدب، معتبرا الأنواع الأدبية مثل الكائنات العضوية. وعلى شاكلة كتاب (أصل الأنواع) لداروين، ألف برونتيار كتابه (تطور الأنواع الأدبية) سنة 1890، حيث رأى أن الآداب تنقسم إلى فصائل أدبية مثلها مثل الكائنات الحية، وأنها تنمو وتتكاثر متطورة من البساطة إلى التركيب في أزمنة متعاقبة حتى تصل إلى مرتبة من النضج قد تنتهي عندها وتتلاشى وتنقرض كما انقرضت بعض الفصائل الحيوانية(17).

وهنا نطرح السؤال: كيف يمكن لهؤلاء النقاد أن يَدْعُوا إلى تطبيق قوانين علم النبات على الأدب لو لم يكن لهم اطلاع وعلم بخفايا العلوم الطبيعية والحياة؟

- إن تعطيل العقل العربي وإقناعه باستحالة البحث دون وسيط غربي لإجراء عملية النقد لأمر يدعو إلى التساؤل:هل صار العلم حكرا على أمة دون أخرى؟ أقول كلا فالعلم ليس حكرا على أحد. إن الإنسان في الوطن العربي وخاصة في الجزائر إذا توفرت لديه الروح العلمية استطاع التغلب على صعوبة البداية، وحمل راية المنافسة وتطويع بل وخلق طرائق واضحة المعالم لدراسة النصوص تتماشى والبيئة التي ولد فيها النص الأدبي. مع عدم التقصير في تعليم طلاب العلم لهذه المناهج، وجعلهم يدركون أهميتها في بناء النهضة العلمية والأدبية.

فأين تكمن المشكلة إذا؟ هل هي في العلم؟ أقول لا، بل في غياب الروح العلمية التي تعد المحرك الأساسي للباحث.

- إن التهافت على استيراد المناهج الغربية جاهزة وتطبيقها على النصوص العربية دون مناقشاتها وتطويعها ظنا من البعض أنها قوالب غير مرنة لا يمكن التغير في شكلها. والمعروف أنها منظومة من المفاهيم التي تتطلب من متبنيها الوعي والجهد والقدرة على فحصها وتحليلها بأدواته الخاصة، ثم إعادة إنتاجها وبلورتها وفق البيئة الجديدة، ومن ثم تطبيقها على النص الأدبي العربي. إلا أن جهل بعض النقاد بماهية هذه المناهج وبأصولها الفكرية والفلسفية وبلغتها الأصلية جعلهم في واد والأعمال الأدبية في واد وجمهور القراء في واد آخر.

- لقد خلق غياب مؤسسة علمية تشرف على الترجمة وخاصة ترجمة المصطلحات فوضى في المصطلح العربي، وهذا الفراغ فتح المجال أمام الجهود الفردية، مما أدى إلى الاختلاف في الترجمة والخلط والعشوائية والغموض والاضطراب والضعف، نتج عنه تباين في طرق إيصال الأفكار إلى القارئ العربي، وهذه الإشكالية وإن كانت وجدت عند النقاد الغربيين إلا أنها فاقت الحدود عند النقاد العرب عامة وبين النقاد في المشرق العربي و المغرب العربي خاصة.

أشار عبد العزيز حمودة إلى خطورة نقل المصطلح دون مراعاة خصائص البيئة التي نشأ فيها والبيئة التي نقل إليها وهذا بقوله: «حينما ننقل نحن الحداثيّين العرب المصطلح النّقديّ الجديد في عزلة عن خلفيته الفكريّة والفلسفيّة فإنّه يفرغ دلالته ويفقد القدرة على أن يحدد معنى، فإذا نقلناه بعوالقه الفلسفيّة أدى إلى الفوضى والاضطراب، إذ إنّ القيم المعرفيّة القادمة مع المصطلح تختلف بل تتعارض أحيانا مع القيم المعرفيّة التي طورها الفكر العربيّ»(18).

فنجد مثلا لمصطلح:

- écart: ما يزيد عن العشر ترجمات باللغة العربية منها: الانزياح، الانحراف،العدول، البعد، التبعيد، التجاوز، الشذوذ...

- sémiologie"sémiotique: السيمياء، السيمية، السيميائية، السيميولوجيا، السيميوطيقا، علم العلامات، علم الرموز، السماتية...

- عجز بعض النقاد العرب وعدم قدرتهم على تطويع المناهج النقدية الغربية الحديثة أثناء الممارسة التطبيقية وفق منظور نقدي عربي يتماشى وانتماء وهوية النص العربي. وفي هذا الصدد يقول عبد الملك مرتاض:«نجتهد أثناء الممارسة التطبيقية أن نضيف ما استطعنا إضافته من أصالة الرؤية لمنح العمل الأدبي الذي ننجزه شيئا من الشرعية الإبداعية، وشيئا من الدفء الذاتي...» (19)

- هناك آثار نقدية لا تصلح أن تكون مراجعا يرجع إليها في النقد بسبب تباعد اتجاهات النقاد واختلاف مناهجهم وثقافاتهم ومبادئهم ومثلهم.(20) فمن كانت ثقافته عربية خالصة لا يرضى إلا بالأدب الذي يحاكي أدب القدماء ويرى فيه ثمرة معرفته، ومن غلبت عليه الثقافة الغربية لا يستحسن إلا ما نقل عن الغرب. وفي ظل هذا الصراع بين التراث والحداثة، أدرك بعض النقاد ومنهم عبد المالك مرتاض خطورة وشر هذا الصراع، حيث يرى أن الشر في كلى الصنفين: الاتباعي المقلد للتراث الذي ينشر ثقافة الجمود، ويعيش في زمن غير زمانه، والمحدث المقلد للثقافة الغربية الذي يكرس ثقافة الاغتراب والاستلاب(21)، وتفاديا لهذا الشر حاول التوفيق بين الجانبين والإفادة منهما معا، من خلال تكييف المناهج النقدية الغربية مع المحافظة على خصوصيات وهوية النص الأدبي العربي، وهذا ما تكشفه كتاباته ودراساته فإذ تحدث عن التراث تحدث عن الحداثة.

هكذا، وانطلاقا مما سبق، يستشف الدارس المراحل التي مرت بها الرواية الجزائرية منذ الإرهاصات الأولى لظهورها إلى يومنا هذا، وأثر الدرس النقدي استيعابا وتطبيقا ودوره في نمو الحركة الروائية وتطورها في الجزائر، وكذلك الجهود التي بدلها النقاد الجزائريون من أجل إحياء التراث الجزائري وتطوير سبل دراسته وفق مناهج جديدة وذلك على الرغم من العوائق التي اعترضت مسيرتهم الأدبية.

الهوامش

01. عبد المحسن طه بدر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر، دار المعارف، مصر، د ت، ص 193.

02. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، الجزائر،1983، ص7.

03. صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ط1، 2003، ص50.

04. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، (تاريخا وقضايا، أنواعا وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2009، ص 179.

05. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، منشورات مخبر أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة بسكرة، د ت، ص20. ينظر: واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986، ص ص17-18. عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر(1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983،ص191.

06. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص 196.

07. فائق مصطفى، عبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث، دار الكتب، العراق، ط1، 1989، ص 169.

08. عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2 ، 1972، ص295.

09. يوسف وغليسي ، مناهج النقد الأدبي ، جسور ، الجزائر ، ط3، 2010، ص71.

10. المرجع نفسه، ص63.

11. ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4 ، 2005، ص 177.

12. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر(من اللانسونية إلى الألسنية)،إصدارات رابطة إبداع الثقافية،الجزائر،2002، ص22.

13. عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص64.

14. مرشد الزبيدي، اتجاهات نقد الشعر العربي في العراق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1999، ص49. (شهادة شخصية لفاضل ثامر قدمت لمرشد الزبيدي)

15. يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ،1997، ص35.

16. فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث (منطلقات وتطبيقات، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ط1، 1989، ص170.

17. يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص ص36-37.

18. عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة (من البنيوية إلى التفكيك)، سلسلة عالم المعرفة،الكويت، 1998، ص 55.

19. عبد المالك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، دار الكتاب العربي، الجزائر،2001، ص19.

20. بدوي أحمد طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، دار المريخ، الرياض، ط3، 1986، ص28.

21. عبد المالك مرتاض، ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993،ص11.